# مراجعات الكتب:

# اجتماع

## الأسرة والتكنولوجيا Families and Technology

**إعداد : جينفر فان هوكو ، سوزان ماكهيل ، فالاري كينج**

**الناشر : Springer Nature Singapor AG 2018 : 197**

**عرض : محمود مصطفى كمال(*)**

يقع الكتاب في 197 صفحة، موزعة على عشرة فصول، وهو يعتبر نتاجاً لندوة عقدت في ولاية (Pennsylvania 2017) حول قضايا الأسرة، وشارك فيها العديد من المؤسسات والمراكز؛ مثل مركز البحوث الاجتماعية، ومركز بحوث السكان، وأقسام علم الاجتماع وعلم الجريمة، والتنمية الاجتماعية، ودراسات الأسرة، وعلم النفس والاتصال، ومركز دراسات الطفولة.

قام بكتابة الفصول بالاشتراك اثنان وعشرون مؤلفاً، يعملون في العديد من الأقسام العلمية في عدد من الجامعات (بيتسبرج، وغرب فيرجينيا، ودينيفر، ونيفادا، وأوهايو، وستانفورد وواشنطن، وكاليفورنيا)، والمراكز العلمية البحثية. ومن ناحية أخرى قام بتحرير الكتاب كل من جينفر فان هوك هو روي سي باك أستاذة علم الاجتماع والديموغرافيا ومديرة برنامج الدراسات العليا في علم الاجتماع في جامعة ولاية بنسلفانيا وزميل غير مقيم في معهد سياسات الهجرة. وسوزان م. ماكهيل، وهي تعمل مديرة معهد بحوث العلوم الاجتماعية وأستاذة لدراسات التنمية البشرية والدراسات الأسرية والديمغرافيا في ولاية بنسلفانيا. أما المحررة الثالثة؛ فهي فالاري كينج أستاذة علم الاجتماع، الديموغرافيا، والتنمية الإنسانية ودراسات الأسرة في

(*) أستاذ علم الاجتماع السياسي ودراسات التنظيم، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة المنيا، جمهورية مصر العربية.

ولاية بنسلفانيا ومديرة برنامج التدريب على فهم وتحليل التركيب السكاني للأسرة في معهد البحوث السكانية.

أما **الفصل الأول**؛ فتستهله المؤلفة بالقول: إنه على مدى عقود، درس الباحثون كيف يتابع الآباء استخدام أطفالهم لوسائل الاتصال، بما في ذلك إذا ما كانوا يناقشون المحتوى مع الأطفال، وكيف يضعون القيود والضوابط على وصول الأبناء إلى الوسائط، ويشاركون في استخدامها. تُعرف هذه الأنشطة في أدبيات الاتصال باسم «المشاركة الوالدية»، التي ركزت على مشاهدة التلفاز. وعلى الرغم من استمرار الأبناء في متابعة التلفاز ومشاهدة المواد والبرامج المتاحة فيه، فإن الطريقة التي يتم بها استهلاك المحتوى تزايدت وتنوعت، سواء على الأجهزة اللوحية أو الهواتف الذكية. وحتى لو كانوا يشاهدون المادة نفسها، فإن التجربة مختلفة ؛ فصغر حجم شاشة العرض وإمكانية حملها في أي مكان وصعوبة متابعتها من عدد كبير من الأشخاص، جعل استخدامات تلك الوسائط تعكس العديد من المخاطر.

ومن هذا المنطلق تناقش المؤلفة في هذا الفصل المشاركة الوالدية لاستخدام وسائل الاتصال للأطفال الصغار في سياق البيئة الإعلامية الحالية. وتعالج المؤلفة بدايات المفهوم واستخداماته في الفترة الراهنة وتتبع نتائج تطبيقها وواقعها في المشهد الإعلامي المعاصر والبحوث المستقبلية في هذا المجال.

أما **الفصل الثاني** المعنون «عالم التكنولوجيا والمراهقون في الأسرة»؛ فتناولت فيه المؤلفة القضايا الآتية:

- إن عمليات الاتصال خلال مرحلة المراهقة تمثل تحدياً كبيراً للوالدين، وفي الوقت ذاته لصغار الأطفال ارتباطاً بالتغيرات التي تحدث في حياة المراهقين وأدوارهم والتكيف مع احتياجاتهم المتغيرة.
- أهمية قيام الوالدين في الأسرة بتحقيق التوازن بين الاستقلالية المتنامية لدى المراهقين من ناحية وفرض الحدود على استخدامهم المتزايد للتكنولوجيا. ومن هنا تعالج المؤلفة دور المشاركة الوالدية في هذا المجال. وفي الوقت ذاته تؤكد المؤلفة أنه طبقاً لبعض النظريات فإن المراهقين يقدمون العديد من الابتكارات والآليات والتقنيات الحديثة إلى داخل الأسرة ويدعمون استخدامها داخلها.

- معالجة العلاقات التبادلية الأسرية واستخدام التكنولوجيا مدعومة بحالات تطبيقية توضيحية لديناميات القوة داخل تلك الأسر.
- تقديم البيانات التجريبية من الدراسات الاستقصائية الكمية القومية التي أجراها Dworkin وزملاؤه. وكانت البيانات من كل من الوالدين والشباب. وتعكس البيانات الاستخدام العام للتكنولوجيا واستخدام الوالدين لها والعلاقات بين استخدامات التكنولوجيا وطبيعة العلاقات الأسرية ونوعيتها. وقد أوضحت التحليلات أن التفاعلات عبر وسائل التكنولوجيا لم تقض بعد على جميع أشكال العلاقات الأسرية المباشرة. ومن هنا تؤكد المؤلفة الحاجة إلى فهم أفضل وأعمق لطبيعة العلاقات الأسرية في ضوء سياقات تكنولوجيا الاتصال المتغيرة.

أما **الفصل الثالث** ؛ فتتناول فيه المؤلفة البيانات التجريبية المستمدة من الدراسات الوطنية والدولية التي تتناول الهجرة والأسر والتكنولوجيا، وكذلك أكثر من عقد من المقابلات والملاحظات الإثنوغرافية في المدارس الحضرية التي تخدم الشباب وأسرهم، والكثير من هم من المهاجرين الجدد، ملتمسي اللجوء. ودعماً للتوضيح قدمت المؤلفة في هذا الفصل أمثلة من الدراسات التي تستكشف أوجه التشابه والاختلاف عبر السياقات الجغرافية والوطنية. يبدأ الفصل بمراجعة وضع الهجرة المعاصرة في الولايات المتحدة الأمريكية. بعد ذلك أوردت بالتفصيل الخبرات التكنولوجية للعائلات المهاجرة لأجل تحديد بعض الثغرات الموجودة في البحوث المتخصصة في هذا المجال، واختتمت الفصل بمراجعة البحوث الحالية حول العائلات والتقنيات والهجرة، تليها اقتراحات للبحوث المستقبلية.

أما **الفصل الرابع** ؛ فتناول فيه المؤلفان شبكة الإنترنت العالمية إلى جانب العديد من عمليات إعادة التقييم، وقدّما المشهد الفوضوي في كثير من الأحيان للإنترنت الذي يرجع إلى سنوات عديدة وممتدة من فترة سابقة إلى العصر الراهن، كما ناقشا كيفية استخدام مجموعات مختلفة من المواقع والتطبيقات عبر الإنترنت. علاوة على ذلك ناقش المؤلفان كيفية تغير استخدامها وانعكاس ذلك على الحياة الزواجية وعلى الأفراد المستخدمين لها بصفة عامة. لقد أكدت التحليلات –كما أشار المؤلفان في هذا الفصل– إلى أن أعداد الأشخاص المتاحين على تلك المواقع وأسلوب بعضها قد غيرت من أنماط التفاعلات في هذا المجال على مستوى العالم.

أما من ناحية البحوث المستقبلية؛ فيشير المؤلفان إلى أنه على علماء الاجتماع مراقبة تطور المواعدة عبر الإنترنت بعناية؛ إذ إن التحولات المختلفة لها تؤثر بالتأكيد على التغيير الاجتماعي وتؤثر على بنية الأسرة والزواج والخصوبة وأنماط الحياة. ومن المحتمل أن يواصل علماء النفس وعلماء النفس الاجتماعي دراسات المواعدة المثيرة للاهتمام على الإنترنت بسبب تأثيرها على قدرة الفرد على الحب، والاتصال، والالتزام. ويمكن لجميع علماء السلوك التفكير جيداً في مدى تأثير مشاركة المستخدم المكثفة في المواعدة عبر الإنترنت على شخصية العلاقات طويلة الأجل واستقرارها.

أما **الفصل الخامس** المعنون «التكنولوجيا وأنساق العلاقات: الأدوار والقواعد والحدود»؛ فقد استهلته المؤلفة بأن هناك مايقرب من 4.1 مليارات شخص يستخدمون الإنترنت في جميع أنحاء العالم، وفي هذا الإطار تشير المؤلفة إلى أن الأزواج والعائلات يكتشفون طرقاً جديدة للتواصل واستخدام الإنترنت لزيادة العلاقة الحميمية وحل المشكلات وإقامة اتصالات جديدة. وفي الوقت ذاته، يعاني الأزواج والعائلات من مشكلات خطيرة تتعلق بالتكنولوجيا والوسائط الجديدة، بما في ذلك مشكلات القيود المفروضة والخصوصية والألعاب عبر الإنترنت وإدمان استخدامها، خاصة في إطار مجالات سلوكية غير اعتيادية، والتسلط عبر الإنترنت. إن الهدف الأساسي والمحورى لهذا الفصل يتحدد في تقديم إطار عمل لفهم كيف يمكن للتكنولوجيا أن تخلق تحديات للبناء الأسري وكيف يمكن استخدام هذه التقنيات نفسها لدعم بناء العلاقات الأسرية بشكل إيجابي.

إن استخدام التكنولوجيا يحدد تفاعل الطرق التي يؤثر فيها الإنترنت على أدوار الأسرة وقواعدها وعلاقاتها، سواء بشكل إيجابي أو سلبي. وسوف يتحدد هذا التأثير ويعتمد على طبيعة العلاقة (سواء كانت لزوجين أو داخل العائلة)، نوع العلاقة الديناميكية القائمة بالفعل، والأهداف والدوافع التي ينطوي عليها نشاط الإنترنت الذي تم اختياره، والعديد من العوامل الأخرى. وتؤكد المؤلفة أنه يجب على الباحثين مواصلة التحقيق في الظروف التي تعزز مزايا استخدام التكنولوجيا في حياة الزوجين والعائلة وكذلك الفروق الدقيقة في كيفية تطور الأدوار والقواعد والحدود بالاقتران مع الوسائط الجديدة.

أما **الفصل السادس** ؛ فسعت فيه المؤلفة نحو قياس تأثير بعض التطبيقات الإلكترونية الخاصة بالمواعدة عبر الهاتف؛ ومن ثم بحث العلاقات الرومانسية بالولايات المتحدة الأمريكية، وتؤكد المؤلفة أن تطبيقات المواعدة عبر الهاتف لها تأثير غاية في التواضع على حياة الأمريكيين الرومانسية. وتناولت المؤلفة العديد من البيانات الخاصة بتأثير تلك التطبيقات. لقد استخدمت المؤلفة في تحليلاتها بيانات مقابلة متعمقة وبيانات استطلاع جديدة على المستوى الوطني لاستكشاف كيفية استخدام البالغين تطبيقات المواعدة عبر الهاتف وعدد مرات الاستخدام وأسبابها. لقد استخدمت المؤلفة آلية التكامل؛ حيث جمعت بين بيانات المقابلات والبيانات التي تم الحصول عليها من المسح الذي تم تطبيقه. لقد قدمت المؤلفة العديد من القصص التي عكست استخدام التطبيقات عبر الهاتف؛ مما دعم النتائج التي عرضتها بواقعية شديدة.

أما **الفصل السابع** فتناولت فيه المؤلفة القضايا الآتية:

- انتشار التلفاز والأقمار الصناعية عبر العالم؛ حيث وصل التلفاز إلى جميع أنحاء العالم، وتقوم الأقمار الصناعية الآن بنقل الصور إلى مجتمعات نائية كانت معزولة نسبياً حتى وقت قريب في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، لقد أصبح استخدام التلفاز لتغيير المواقف والسلوكيات واضحاً.
- وجود درجة عالية من الارتباط بين انتشار التلفاز واستخداماته من ناحية وصحة السكان من ناحية أخرى، وقد ظهرت تلك الارتباطات في بيانات الكتاب الإحصائي السنوي للأمم المتحدة لـ 96 دولة.
- على الرغم من عدم وجود أدلة على الآثار السببية للتلفاز، يركز التمويل والجهود المبذولة على استخدامه رسائل محددة لتنظيم الأسرة والصحة الإنجابية.
- قد يؤثر التلفاز على التغيير من خلال إدخال أفكار ومعلومات جديدة في محتواه، وكذلك عن طريق تغيير التفاعل الاجتماعي. ودعمت المؤلفة ذلك بالعديد من النتائج التي تم استخلاصها من الدراسات والبيانات التي قامت بتحليلها.

أما **الفصل الثامن** ؛ فتعالج فيه المؤلفتان أثر إدخال واستخدام الهواتف المحمولة في المجتمعات الغربية المتقدمة على العلاقات الأسرية بين الأجيال في مرحلة البلوغ. ويقع البحث في إطار مناقشات العلوم الاجتماعية حول درجة التماسك الاجتماعي بين الأقارب في الماضي والحاضر والمستقبل، وكذلك تأثير تكنولوجيا الاتصالات الجديدة على الحياة الاجتماعية بشكل عام. وركزت المؤلفتان على علاقات الترابط بين الأطفال والأمهات؛ حيث مشاعر الترابط وتبادل الموارد.

لقد قدمت المؤلفتان أدلة حول زيادة وتيرة اتصال البالغين بأمهاتهم عن بعد في الفترة من 1986–2001، ومن ناحية أخرى أوضحت المؤلفتان الدلائل من 24 دولة حول تباين انتشار الهواتف المحمولة. وفي الوقت ذاته كانت البلدان التي لديها انتشار أعلى للهواتف المحمولة هي أيضاً البلدان التي كان لدى الأطفال البالغين فيها اتصالات أكثر تكراراً مع أمهاتهم عن طريق البريد، الفاكس، الإنترنت، أو الهاتف. كما ضيقت المؤلفتان من نطاق البحث، فانتقلتا إلى مستوى الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث أوضحتا العديد من الأدلة فيما يتعلق بدور تكنولوجيا الاتصالات الجديدة في تعزيز التفاعل المتزايد بين أفراد الأسرة. وطرحت المؤلفتان قضية مهمة تدور حول استخدام وسائل الاتصال التقليدية أو تأثير عمليات تطوير وسائل التواصل الاجتماعي، ومن ناحية أخرى تناولت المؤلفتان علاقة قضايا التغير الديموغرافي والتغير التكنولوجي بتغير العلاقات بين الأطفال والأمهات.

إن هذا الفصل يعالج قضية محورية وهي انتشار الهواتف المحمولة وعلاقتها بزيادة الاتصال عن بعد بين الأقارب، وقد أوضحت التحليلات ضعف البيانات في الفترة الحرجة التي انتشرت فيه الهواتف المحمولة بسرعة ودراسة تأثيرها على الاتصالات عن بعد بين الأقارب؛ ومن ثم صعوبة إثبات دور تلك الهواتف في تحقيق التماسك الأسري وتعزيزه. وبصفة عامة يتضح التأثير البالغ لتلك التكنولوجيا على طبيعة العلاقات الأسرية.

أما **الفصل التاسع** المعنون «مخاطر الصحة العقلية ووسائل التواصل الاجتماعي والتواصل الحقيقي»، فيقدم فيه المؤلفون مراجعة وتلخيصاً للدراسات الحديثة التي استكشفت هذه العلاقة بين استخدام وسائل التواصل والصحة العقلية. ومن ناحية

أخرى يحاول المؤلفون اقتراح نموذج جديد يلخص النتائج التي يتوصلون إليها. وقد استخدم المؤلفون المسح الإلكتروني وحدد الباحثون نتائج الصحة العقلية باعتبارها المتغير التابع واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي متغيراً مستقلاً والعديد من المتغيرات التفسيرية. وقد تم تقييم استخدام المشاركين لوسائل التواصل بالعديد من المؤشرات.

وقام المؤلفون بتطوير النموذج وطرح العديد من القضايا المستقبلية حوله. كما أكد المؤلفون في هذا الفصل – في ضوء نتائج التحليل – أهمية التراجع عن السلوكيات السلبية في التفاعلات من خلال وسائل التواصل الاجتماعي والانخراط في تلك التفاعلات بشكل متوازن في مواقف واقعية حياتية ثم الحد من استخدام تلك الوسائل من حيث توقيت ومدة الاستخدام والتردد على المنصات وعدد تلك المنصات التي تستخدم في الاتصال.

أما **الفصل العاشر** المعنون «الأسرة والتكنولوجيا : نحو دراسات مستقبلية»؛ فتتناول فيه المؤلفتان ما تم عرضه في الفصول السابقة من أفكار حول العلاقات بين الأسرة والتكنولوجيا، وتوجزان القضايا الرئيسة في الكتاب على النحو الآتي:

- كيف شكلت التكنولوجيا ديناميات القوة في الأسر؟
- الدور الذي لعبته التكنولوجيا في إعادة تحديد وضبط الحدود بين أفراد الأسرة وحول الأسرة.
- العلاقة بين التكنولوجيا والأسرة وعدم المساواة.

انتقلت المؤلفتان إلى ملامح البحوث المستقبلية في هذا المجال؛ حيث أشارتا إلى أهمية دمج المزيد من الأساليب النظرية والجديدة. ومزيد من الدراسات حول أساليب الترابط بين الأسر والتكنولوجيا. إضافة إلى ذلك تأكيد أهمية الدراسات التجريبية والتحليلية واستخدام بيانات حديثة بعد التغيرات التي حدثت في مجال التكنولوجيا والتغيرات التي حدثت في التفاعلات الأسرية، مع أهمية دراسة فوائد استخدامات التكنولوجيا ودراسة أساليب التغلب على التحديات التي تظهر من وراء تلك الاستخدامات.

وتكشف قراءة هذا الكتاب عما يأتي:

الكتاب الراهن يتناول قضية محورية خاصة في الحياة المعاصرة وهي العلاقة بين التكنولوجيا والأسرة ؛ حيث تظهر التأثيرات الهائلة (إيجاباً وسلباً) للتكنولوجيا على الأسرة والعلاقات الكامنة فيها وأدوارها.

يعكس الكتاب قدرة كبيرة على تحقيق التكامل البيني؛ حيث تتكامل فيه التحليلات، ويعتبر هذا الكتاب من الدراسات البينية الرائدة التي تفسر ظاهرة معقدة لايمكن معالجتها من خلال تخصص واحد.

يعتبر الكتاب مورداً قيماً للباحثين والطلاب في مجالات الدراسات الأسرية وعلم الاجتماع والزواج والعلاج الأسري والرعاية الاجتماعية والصحة العامة وعلم النفس. يناشد المؤلفون والمحررون صانعي السياسات وموظفي الخدمات الإنسانية تحقيق فهم أفضل لتأثير التقنيات السريعة الانتشار على الأسر في جميع أنحاء العالم.

قدم الكتاب الراهن رؤية نقدية للعلاقات بين الأسرة والعائلة. ولم يكتف المؤلفون والمحررون بمعالجة نقدية، فقد قدموا رؤية مستقبلية لكل قضية من القضايا التي عالجتها فصول الكتاب.

إن هذا المرجع جاء في الوقت المناسب؛ حيث يلقي نظرة جادة على التقنيات التي لا تعد ولا تحصى، وتؤثر على الحياة الأسرية، وفتح مجالات جديدة للدراسة.

يعرض الكتاب وجهات نظر متعددة التخصصات حول الاتجاهات الحالية في دور التكنولوجيا في سياق العلاقات الزواجية والأسرية. إنه يركز على دور الوالدين في المشاركة الوالدية للأطفال في المشاهدة، والتكنولوجيا في تكوين العلاقة، والتكنولوجيا في تغيير ديناميات الأسرة.

يحدد المؤلفون أيضاً فرصاً جديدة للبحث مع استمرار تطور أدوار الأسرة وهياكلها؛ حيث تصبح التكنولوجيا عدسة أكبر للدراسات الأسرية.

إن هذا الكتاب جدير بالقراءة والإفادة منه في الحياة اليومية والبحث وصياغة السياسات الاجتماعية.